التّكرارُودورهُ في انسِجامِ الخِطابِ وارتِصَاصِهِ
مُقاربَةٌ مِعماريةٌ لآياتٍ من سورةِ الرحمنِ

The Repetition and its Role in the Consistency in the Speech and its Cohesion
A Structural Appraoch of Quranic Verses from Surah Er-Rahmn (The Most Gracious)

الطالب الباحث: شهري محمد
المشرف السيد : الأستاذ الدكتور حمودي محمّد
كلية الآداب والفنون
جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
Chehrimohamed.arab@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2018/03/31 تاريخ القبول:2018/06/25

الملخص:

القولُ المرصوصُ يرتفع معناهُ ويتمركزُ مبناه حول أسلوبِ الصياغةِ للقول والقدرة على هندسة المعمار الكلامي بما يسمى "التشكيل " وبخاصة إذا تعلق بظاهرة التكرار كمتقصد فنيّ في علائقيته بترصيص الخطاب ويا له من خطاب لو كان مداره النّص القرآني ،فالتكرار القرآني هو وجه من وجوه الإعجاز البلاغي، الذي اختص وانفرد به دون الكتب السماوية الأخرى،لما تميّز به من حلاوة وطلاوة، إذ عادة ما يكون الكلام المكرر ثقيلا وساذجا، أمّا التكرار القرآني فأنغامه سارية في كلماته، فيبدو واضحا لما له من مقاصد أخرى غير التوكيد، وأرقى تجلياته بارزة في سورة الرحمن.

الكلماتُ المفتاحية : الارتصاص / الانسجام / الخطاب / القرآن الكريم / التكرار

Summary :

The meaning of cohesive speech arises and its structure centers on the type of wording of the speech and the ability to structure a speech

form which is named as "the formalization" and more specifically when it is concerned with redundancy as a literal aim in its relationship with the cohesion of the speech. How wonderful would it be if it orbited on the Quranic text!, because the repetition in Quran is one of the forms of the inimitability of Quran rhetorically, whose specialized and dominated it among the other holy books because of its sweet and flexible composition, wherein usually the repetitive speech is heavy and plain, while the redundancy in the Quran comes in a flowing tunes through its words, whereas it appears accurately for what it consists of other meanings rather than the emphasis, and one of its solemn appearances has appeared in Surah Er-Rahman (The Most Gracious).

Keywords: Cohesion / harmony / speech / The Quran / repetition

مقدمة

التّكرار فن قوليٌ من الأساليب المعروفة عند العرب ،بل هو من مَحاسِن الفصاحة [1] ، والتكرار في القرآن الكريم من أسرار الذوق البلاغي والإعجاز القرآني وهو بمثابة الجزء الذي يتألف مع غيره في فهم الصورة البيانية للقرآن الكريم وهذه الصورة بمعناها الآخر "الأسلوب" الذي يتألف من الألفاظ والمعاني والعلاقات والتراكيب، "وهذه الألفاظ إذا اشتدت فأمواج البحار الزاخرة، وإذا هي لانت فأنفاس الحياة الآخرة،تذكر الدنيا فمنها عمادها ونظامها وتصف الآخرة، فمنها حنينها وضرامها،ومتى وعدت من كرم الله جعلت الثغور تضحك في وجوه الغيوب،وإن أوعدت بعذاب الله جعلت الألسنة ترعد من حمى القلوب." [2]

والصلّة قوية بين البيان القرآني في قضية الإعجاز القرآني، وبين تدوين البلاغة العربية التي يقع التكرار في القرآن الكريم بين رحى هذين القطبين، ولا تقف الدراسات البيانية للقرآن الكريم عند حد، بل هي نامية ومنها ما جاء في دراسة السيد قطب في كتابه" التصوير الفني في القرآن" ثمّ اتبعه بكتاب آخر بعنوان" مشاهد القيامة في القرآن" إذ يقول: هذا الكتاب المعجز الجميل هو أنفس ما تحويه المكتبة المكتسبة العربية على الإطلاق،فلا أقل من أن يعاد عرضه وأن ترك إليه جدته، وأن يستنفذ من ركام التفسيرات اللغوية والنحوية

والفقهية والتاريخية والأسطورية أيضا، وأن تبرز في الناحية الفنية،و نستخلص خصائصه الأدبية،و نجلي المشاعر الكامنة فيه.[3]

اشتغل الدارسون بالبيان القرآني وإعجازه ، فكان القرآن لديهم كله شواهد . . ، وإنّ من أسرار القرآن أن يمسك بأحوال النفس الإنسانية كلها،ويجيء إليها بما يناسب كل حال منها في مواجهتها للأحداث، وفي تصورها وإحساسها بها،وهكذا نجد أسرار البيان القرآني تنكشف عن طريق اللوازم التي تجيء تبعا للمنطوق، وتتفاوت فيها الأحكام من غير أن تكلف الألفاظ من المعاني اللازمة مالا تطيق بتكلف التأويل، وتجيء الأسرار القرآنية العالية التي لا تكون إلاّ لكلام الله سبحانه وتعالى.[4]

ولذلك نجد أنّ التكرار ورد في القرآن كثيرا، عم أنّ الأسلوب في الكلام العادي قد لا يسلم معه من القلق والاضطراب، إلاّ أنّه جاء في كلام الله محكما،ولكون هذه الظاهرة بارزة في القرآن، فقد تعرض لها المفسرون والبلاغيون، وبيّنوا جزءا من أبعادها ودلالتها على اختلاف مواقعها،كما حاولوا التعرف على محاورها وأنماطها، التي تمثلت في تكرار حروف وكلمات، وتكرار بدايات وفواصل وجمل وآيات،وتكرار قصص وأنباء.[5]

والواقع أنّ التكرار في القرآن من الموضوعات التي نالت عناية، خاصة من العلماء قديما وحديثا، واستأثرت بجهد واضح "ابن قتيبة"و "الخطابي"إذ يقول الأول:{وأمّا تكرار الأنباء والقصص، فإنّ الله نزّل القرآن منجما في ثلاث وعشرين سنة،تيسيرا منه على عباده، وتدريجا لهم إلى اكتمال دينه،تنبيها لهم من سنة الغفلة وشحذا لقلوبهم بتجديد الموعظة، يقول الله عزّ وجلّ:{وقال الذين كفروا لو أنزل عليه القرآن جملة واحدة، كذلك لنثبت به فؤادك ، ورتلناه ترتيلا}

فالخطاب هنا للنبي -عليه الصلاة والسلام- يتخول أصحابه بالموعظة عليهم؛ أي يتوعدهم بها عند الغفلة، ولو أتاهم القرآن جملة واحدة لسبق حدوث الأسباب التي أنزل الله بها، وانتقلت جملة الفرائض على المسلمين، وعلى من أراد الدخول في الدين،ولبطل معنى التنبيه وفسد معنى النسخ، لأنّ المنسوخ يعمل به مدة ثم يعمل بناسخه بعده، ولم يفرض الله على عباده حفظ القرآن كله، ولا أن يختموه في التعلم، وإنما أنزله ليعملوا بحكمه ويؤمنوا بمتشابهه، ويأتمروا بأمره وينتهوا بزجره،وليست القصص كالفروض، لأنّ

كتب رسل الله كانت تنفذ إلى كلّ قوم بما فرضه الله عليهم من الصلاة وغيرها، وهذا مالا تعرف كيفيته من الكتاب.

وكان هذا في صدر الإسلام قبل إكمال الرسالة الدينية، فلما نشرة في كل أقطار وآفاق الأرض، علم بها الأكابر والأصاغر، وجمع القرآن في المصاحف وزال هذا المعنى واجتمعت الأنبياء في كل مصر وعند كل قوم.[6]

وقد وقف (القاضي عبد الجبار) عند التكرار في القصص القرآني، وردّ طعن الطاعنين بسببه،، وبيّن أنّه من الوجوه التي تجلت فيها براعة القرآن وظهر فيها إعجازه، كما ين أن التكرار كان تسلية للرسول عليه الصلاة والسلام، وتثبيتا لفؤاده على مدى ثلاث وعشرين عاما.

وهكذا ردّ العلماء ومنهم الخطابي على الذين طعنوا في أسلوب التكرار،وقانون البلاغة يقضي بأن عنان القول في سياق تربية المعاني في القلوب وبثها في الضمائر،حتّ تحبط بأقطار النفس وتنفذ إلى مواقع قيادتها والغلبة عليها، متجهة إلى حيث يريد صاحب البيان بتوجيهه وبيانه.

التكرار المصطلح والدلالة

لغة:

إنّ استعراض المعنى اللغوي لمصطلح التكرار يبيّن أنّ معاني(كرر)تدور حول عدة محاور بينها ابن منظور كما يلي:

الكر:الرجوع؛يقال:كرة وكرة بنفسه يتعدى و لا يتعدى، والكر مصدر كرّ عليه، يكرّ كرا وكرورا وتكرارا:عطف، وكرر الشيء وكركرة: أعاده مرة أخرى ويقال: كررت عليه الحديث، وكررته إذ رددته عليه.

الكر: الرجوع إلى الشيء، ومنه التكرار، والكرة: البعث وتجديد الخلق بعد الفناء.

والكر: الحبل الغليظ، والكركرة:صوت يردده الإنسان في جوفه. [7]

وجاء في لسان العرب في المادة كرر الشيء؛ وكرره: أعاده مرة أخرى، ويقال: كررت الحديث إذ رددته. ويذهب الجوهري ويقول: كررت الشيء تكريرا وتكرارا. فالتكرار مصدر من كرر إذ ردد وأعاد، يقال: كرر الشيء تكريرا وتكرارا، إذ أعاده مرة بعد أخرى. [8]

اصطلاحا:

عرّفه القاضي الجرجاني في كتابه " التعريفات" بأنه :« عبارة عن الإثبات بشيء مرة بعد أخرى» [9] ، وعرّفه ابن الأثير بقوله: « هو دلالة اللفظ على المعنى مكررا» [10]، ويعرفه السجلماسي بأنه :« إعادة اللفظ الواحد بالعدد أو النوع،أو المعنى الواحد بالعدد أو النوع في القول مرتين فصاعدا » [11].

وعليه فالتكرار يكون بإعادة المتكلم لبعض ما يتلفظ به ، وهذه الإعادة تكون في الحرف أو اللفظ أو الجملة والتكرار كظاهرة بلاغية لا تتم عبثا أثناء التأدية وإنما تؤدي أثناء القيام بها وظيفة تكشف عن أغراض يريد أن يبلغها للمخاطب،ويفهمها من خلال هذه الظاهرة دون الحاجة إلى التصريح بها مباشرة.

وقد عولج التكرار في البلاغة العربية بوصفه أصلا من أصول البديع ،وذلك أن البديع هو : « علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته»[12].

يعد الجاحظ من أوائل العلماء الذين تحدثوا عن التكرار،وأشاروا إلى وظيفته[13]، حيث يقول في هذا الصدد: « ليس التكرار عيًا، مادام لحكمة كتقرير المعنى،أو خطاب الغبي أو الساهي »[14].

وقد أورد أمثلة توضيحية من كلام العرب،نذكر منها قصة ابن السماك الذي جعل يوما يتكلم ،وجارية له حيث تسمع كلامه فلما انصرف إليها قال لها: كيف سمعت كلامي؟ قالت : ما أحسنه ،لولا أنك تكثر ترداده ، قال: أردده حتى يفهمه »[15].

فالتكرار عند الجاحظ ليس عيبا في الكلام وإنما يوظف بغرض تقرير المعنى أو الإفهام أو لفت الانتباه.

و أفرد ابن رشيق بابا في التكرار ،وبيّن مواضعه ومتى يكون حسنا أو قبيحا ذاكرا وظائفه، إذ يقول: « وللتكرار مواضع يحسن فيها ومواضع يقبح فيها،فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني،وهو في المعاني دون الألفاظ أقل...فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعا فذلك الخذلان بعينه»[16].

التكرار في نظر ابن رشيق لا يحسن في جميع المواضع وإنما ما يستدعيه المقام والسياق .

ويجب أن تكون للتكرار وظائف حسب رأي ابن رشيق ، وهي وظائف ترتبط بالغرض الشعري، إذ يقول: « ولا يجب للشاعر أن يكرر اسما إلا على جهة التشوق والاستعذاب، إذا كان في تغزل أو نسيب، كقول امرئ القيس :

ديار لسلمى عافيات بذي خال ألحّ عليها كل أسحم هطال

وتحسب سلمى لا تزال ترى طلا من الوحش أو بيضا بميثاء محلال

وتحسب سلمى لا تزال كهدنا بوادي الخزامي أو على رأس أو عال

أو على سبيل التنويه به ،والإشارة إليه وتفخيم له في القلوب والأسماع،كقول الخنساء:

وإنّ صخرا لمولانا وسيدنا وإن صخرا إذا نشتوا لنحار

وإن صخرا لتألم الهداة به كأنه علم على رأسه نار

وقد يكون التكرار على سبيل الوعيد والتهديد كقول الأعشى ليزيد بن مشهر الشيباني:

أبا ثابت لا تعلقنك رماحنا أبا ثابت أقصر وعرضك سالم

وذرنا وقوما إن هم عمدوا لنا أبا ثابت واقعد فإنك طاعم[17]

وقسم ابن رشيق القيرواني التكرار إلى ثلاثة أقسام:

- تكرار اللفظ دون المعنى ويرى أنه أكثر أنواع التكرار تداولا في الكلام العربي.

- تكرار المعنى دون اللفظ وهو أقلها استعمالا.

- تكرار اللفظ والمعنى وهو من مساوئ التكرار وحكم عليه بأنه الخذلان بذاته.[18]

أما ابن الأثير فقد قسّم التكرار إلى قسمين: أحدهما يوجد في اللفظ والمعنى والآخر يوجد في المعنى دون اللفظ، فأما الدي يوجد في اللفظ والمعنى فكقولك لمن تستدعيه : أسرعْ أسرعْ،وأما الذي يوجد في المعنى دون اللفظ فكقولك: أطعنى ولا تعصني، فإن الأمر بالطاعة هو النهي عن المعصية»[19] .

ومن خلال هذا التقسيم يحدد ابن الاثير وظيفة التكرار ،وذلك بالتركيز على عنصر الإفادة:

1- التكرار المفيد: هو الذي يأتي في الكلام توكيدا له وتسديدا من أمره وإشعارا بعظم شأنه وهو يأتي في اللفظ والمعنى،والمقصود منه غرضان مختلفان ،كقوله تعالى: ﴿ قل أغير الله اتّخذ وليا فاطر السماوات والأرض وهو يطعم ولا يطعم قل إني أمرت أن أكون أوّل من أسلم ولا تكونن من المشركين، قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾[20] ثم قال بعد ذلك : ﴿ قل الله أعبد مخلصا له ديني﴾[21]

والمقصود به غرضان مختلفان :

الغرض الأول: أراد به الإخبار ،لأنه مأمور من جهة الله تعالى بإخلاص العبادة له.

الغرض الثاني: أراد به تخصيص الله وحده دون غيره،ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة في الثاني،وأخره في الأول لأن الكلام أولا واقع في الفعل نفسه وإيجاده،وثانيا فيمن يفعل الفعل لأجله،فهذان غرضان مختلفان.

2- **غير المفيد**: فهو الذي يأتي في الكلام توكيدا له، ويجيء في اللفظ والمعنى ولكن المقصود منه غير مفيد،مثال ذلك قول المتنبي:

ولم أر مثل جيراني ومثلي لمثلي غدا مثلهم مقام

وكقوله أيضا:

وقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا قلاقل عيش كلهن قلاقل

والتكرار في هذا البيت جاء في اللفظ والمعنى، لكن بغير فائدة،فهو المعيب من التكرار[22]

وأشار ابن الأثير إلى نوع آخر من التكرار، وهو الانتقال من العام إلى الخاص ،ويهدف بهذا إلى التركيز على المتنقل عليه وبيان أهميته حيث يقول: « قال تعالى: ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾[23] فإن الأمر بالمعروف خير، وليس كل خير أمرا بالمعروف،وذاك أن الخير أنواع كثيرة ،ومن جملتها الأمر بالمعروف ،فائدة التكرير ها هنا أنه ذكر الخاص بعد العام، للتنبيه على فضيلته، كقوله تعالى:﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾[24] وكقوله تعالى:﴿ إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾[25] فإن الجبال داخلة في جملة الأرض، لكن لفظ الأرض العام والجبال خاص، وفائدته هاهنا تعظيم شأن الأمانة المشار إليها وتفخيم أمرها»[26].

فالملاحظ من خلال تناول ابن الأثير لظاهرة التكرار ،أنه يربط وظيفته بالسياق، خاصة ما يتعلق بالقرآن الكريم، وهو يؤكد في غير موضع بأن التكرار في القرآن الكريم لا

يأتي من غير فائدة، بل تتعدد وظائفه وتتنوع حسب السياق القرآني،إذ يقول:﴿ وبالجملة فأعلم أنه ليس في القرآن مكرر لا فائدة في تكريره فإن رأيت شيئا منه تكرر من حيث الظاهر،فأمعن نظرك فيه، فأنظر إلى سوابقه ولواحقه، لتنكشف كل الفائدة منه»[27].

وعليه فالتكرار عند ابن الأثير لا يرد عبثا في الكلام بل له وظيفة وأثر على التركيب وعلى المعنى.

ويقول السجلماسي عن التكرار الذي اصطلح على تسميته " البناء": « هو إعادة اللفظ الواحد بالعدد وعلى انطلاق المتحد المعنى كذلك مرتين فصاعدا،خشية تناسي الأول لطول العهد به في القول ،ومن صوره الجزئية قوله عز وجل:﴿ أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون﴾[28]، فقوله " أنكم" الثاني بناء على الأول وإنكار به، خشية تناسيه لطول العهد به في القول : وقول عز وجل: ﴿ يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ وما كان مثله، فقوله (هم) الثاني بناء على الأول لما طال قوله، وكان قوته بوجه ما قوة التأكيد اللفظي ، ويمكن أن يكون من هذا النوع،قول عز وجل في قصة الذبح ،ثناء على إبراهيم عليهما السلام: ﴿ إن هذا لهو البلاء المبين(106)، وفديناه بذبح عظيم(107) وتركنا عليه في الآخرين(108) سلام على إبراهيم(109) كذلك نجزي المحسنين﴾.

فقوله كذلك " نجزي المحسنين" بناءً ولذلك قيل فيه " كذلك نجزي المحسنين" بغير (إنَّ) وفي غيره من مواضع ذكره، (إنا كذلك) ، لأنه بنى على ما سبقه في هذه القصة من قوله " إنا كذلك" فكأنه – كما قيل – استخف بطرح " إنّ" ،اكتفاء بذكره أولا عن ذكره ثانيا»[29].

ويظهر من خلال كلام السجلماسي أن للتكرار وظيفة تتمثل في تنشيط ذاكرة المستمع أو القارئ ،وذلك بإحالة (أنكم) وبعدها جملة ليس لها خبر (أن) ،ثم جملة ثالثة ليس فيها خبر (أن)،وحين أريد هذا الخبر في الجملة الثالثة ، كان قد طال العهد بين (أن) واسمها من جهة، وخبرها من جهة أخرى، مما يخشى معه التناسي فأعيدت أن واسمها (أنكم) مرة ثانية، لمحو ما خشي منه (النسيان).

ويعد التكرار من أساليب الفصاحة والبلاغة،وقد أخطأ من أنكر ذلك يقول بدر الدين الزركشي موضحا ذلك:{وقد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة، ضنا منه أنه لا فائدة له، وليس كذلك بل هو محاسنها، لاسيما أذا تعلق بعضه ببعض، وذلك أن عادة العرب في خطاباتهم إذا أبهمت بشيء إرادة تحقيقه وقرب وقوعه، أو قصد الدعاء عليه كررته توكيدا، وكأنه يقيم تكراره مقام المقسم عليه، أو الاجتهاد في الدعاء عليه.حيث تقصد الدعاء}، وإنما نزل القرآن بلسانهم، وكانت مخاطبتهم جارية فيما بينهم، وبهذا المسلك تتحكم الحجة عليهم في عجزهم عن المعارضة، وعلى ذلك يحتمل ما ورد من تكرار المواعظ والوعيد، لأنّ الإنسان مجبول من الطبائع المختلفة وكلها داعية إلى الشهوات، ولا يقمع إلى تكرار المواعظ والقوارع}. [30]

كما أن دلالة اللفظ على المعنى مرددا حسب علماء البلاغة كقولك لمن ترده: أسرع أسرع، فإن المعنى مرددا في اللفظ الواحد، وهذا حسب قول السيوطي:{هو تجديد اللفظ الأول، كمايراه البعض أنه ضرب من التأكيد. [31]

و التكرار هو إعادة اللفظ أو الكلمة أو ترديدهما في الكلام، يقول صاحب "جمهرة الألفاظ":يقال: حديث معاد،مكرر، مردّد...

وقد يكون التكرار بحرف أو بلفظ أو بجملة..ويقول "صاحب التعريفات":{التكرار عبارة عن الإتيان بشيء مرة بعد أخرى، وقد نظم"صاحب لآلي التبيان"في ألفيته: مواطن التكرار ودواعيه إذ يقول:

كذلك التكرار قد أطلا في" سوف تعلمون ثمّ كلا"

لغرض التأكيد ما رأينا ولاستمالة الذي خاطبنا

كقول من آمن في القرآن "يا قوم " إذ كرر في حنان

طول الكلام قصد الاستعاب تلذذ تحسر في الباب [32]

التكرار مصدر كرر إذا ردّد وأعاد، ومصدره السماعي تكرار، القياس تكرير، وقد طعنهم في أساليب التكرار التي يجيدونها في أمثال سورة الرحمان، وهذا التكرار كما قالوا ليس محمودا من النوع الأفضل في طبقات البيان، ويرى الخطابي أنّ التكرار قسمان:

أ/تكرار مذموم : و هو ما كان فضلا من القول ليس وراءه شيء من المعنى.

ب/تكرار محمود : و هو ما كان فيه شيء من الإضافة أو ما كان تأكيد للمعنى السابق

في سياق يكون التأكيد فيه ضرورة لأداء المعنى وأساليب التكرار في القرآن الكريم من النوع المحمود، فقد ورد التكرار في الأمور المهمة و المعاني التي يحرص القرآن على تثبيتها في القلوب، وقد أشار سبحانه إلى الغرض من التكرار فقال:{ولقد فصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون}سورة القصص الآية 1 وقال أيضا:{وصرفنا فيه الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكر} سورة طه الآية 113

وإذا كان الخطابي قد ناقش التكرار في القرآن، وقال أنّه بلاغة وأنّ تركه في الموضوع الذي يتطلبه المقام إخلال بمقاييس البلاغة، فقد كان كلامه عن بلاغة التكرار على سبيل العموم، من غير تفصيل بين التكرار في القصص القرآني. [33]

أهمية التكرار

التأكيد عند الرازي هو:{وذكروا في التكرار وجوها: أحدهما التأكيد، وأنه وعيد بعد وعيد، كما نقول للمنصوح: أقول لك ثم أقول لك لا تفعل.}

1/تقرير المعاني في النفس وتثبيتها في الصدور.

2/تقوية المعاني وجعلها ذات إيحاء دلالي.

3/الجو التنظيمي في السياق، مما يجعل له أثرا بالغا في نفسية المتلقي.[34]

4/اعتبر الرافعي التكرار نوع من التحدي وجعله إما لتوكيد الزجر الذي يجيء في بعض القرآن أو للتذكير بالنعم ، فيقول:{وهنا معنى دقيق في التحدي، وما نظن العرب إلاّ وقد بلغوا منه عجبا، وهو التكرار الذي يجيء في بعض آيات القرآن، وبعد فإن هذا الأسلوب الذي جاءت عليه الألفاظ التي تكررت كان عن قصد، وعن تدبير يبدو منه :

أ/إيقاظ المشاعر وألفات العقول، وذلك لما يقتضيه الموقف من يقظة ووعي وحذر من أن يفلت من بين يدي الإنسان، ما ينبغي أن يلقي به هذا الموقف من استعداد نفسي وعقلي حتى ينتفع بما فيه من عبرة وعظة.

ولو جاء غرض هذا الموقف بأسلوب مألوف فلربما غفل عنه كثير من الناس، و لربما التفت إليه من التفت منهم بنفس فاترة وعقل شارد، وسورة الرحمن التي تكرر فيها لفظ""فبأيّ آلاء ربكما تكذبان""معرض متكامل لنعم الله وقدرته، ولرحمة الله وجلاله وعظمته .

ب/ تكرار القصص في القرآن ادّعى فيها المطلون قديما وجود تناقض في الأحداث، كما ادّعى بعض ممن يكيدون للإسلام أنّ هذه القصص مؤلفة لأغراض الدعوة، وانتصار الحق على الباطل، وإنّ الأسلوب الفني إثارة العواطف كانا وراء تعدد القصص، وقد كان كتاب" الفن القصصي في القرآن الكريم" للدكتور (محمد خلف الله)خلاصة وافية لكلّ الاقتراحات والطعون الموجهة للقرآن قديما وحديثا. وكانت هذه الظاهرة مما لفت أنظار العلماء إليها، فهذا "البقلاّني" يقول في كتابه (إعجاز القرآن):{إنّ إعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحد، من الأمر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة وتبين البلاغة.} وأعيد كثير من القصص في مواضع مختلفة على ترتيبات متفاوتة، ونبهوا بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله، ويكشف صاحب البرهان عن سر التكرار في القصص القرآني يقول:{ ومنه تكرار القصص في القرآن، كقصة إبليس في السجود لآدم، وقصة موسى وغيره من الأنبياء.}وقال بعضهم:{ذكر الله موسى في القرآن في مائة وعشرين موضعا، وقصة موسى عليه السلام في سبعين آية}.ثمّ يقول:{وإنّما كرّرها لفائدة خلت عنه في الموضع الآخر، وهي أمور؛

<u>أحدها:</u> أنّه إذا كرّر القصة زاد فيها شيئا؛ ألا ترى أنّه ذكر الحية في عصى موسى عليه السلام، وذكرها في موضع آخر ثعبان.

الثانية: أنّ الرجل "وذلك في صدر الإسلام وقبل أن يكمل نزول القرآن"كان يسمع القصة من القرآن ثم يعود إلى أهله، ثمّ يهاجر بعده آخرون يحكمون عنه أي عن القرآن،ما نزل بعد صدور الأولين، وكان أكثر من آمن به'القرآن' مهاجرا، فلولا تكرار القصة لوقعت قصة موسى عليه السلام إلى قوم، وقصة عسى عليه السلام إلى آخرين، وكذلك سائر القصص فأراد الله سبحانه وتعالى اشتراك الجميع فيها، فيكون فيه إفادة لقوم وزيادة تأكيد لقوم آخرين وهم الحاضرون.

الثالثة: تسلية لقلب النبي ﷺ بما اتفق للأنبياء مثله..مع أممهم . قال تعالى:{وكلاّ نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك } سورة هود الآية 120 .

الرابعة: أنّ إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة لا يخفي ما فيه من الفصاحة.

الخامسة:أنّ الله تعالى أنزل هذا القرآن وعجز القوم على الإتيان بمثل آية،لصحة نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، ثم بيّن وأوضح الأمر في عجزهم، بأن كرر ذكر القصة في مواضع إعلاما بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله، بأيّ نظم جاؤوا؟ وبأيّ عبارة عبّروا؟ [35] وقال السيوطي:{ قد يتكرر نزول الآية تذكرة وموعظة}.

ويقول السيّد قطب في كتابه التصوير الفني في القرآن:{في كل تكرار صورة تختلف اختلافا يسيرا أو كثيرا، التكرار بلا قصد إلاّ التكرار، وإن يكن غرضه في صدد الدعوة، ولكنه مع هذا يسير مع الجمال الفنّي بالتنويع الدقيق الملحوظ.

ويرى كذلك في تكرار القصص رأيا جديد؛ هو أنّ القصة المكررة لا ترد كاملة، إنّما هو تكرار على حد قوله لبعض حلقاته، ومعظمه إشارات سريعة لموضع العبرة فيها، أمّا القصة كاملة فلا تكرر إلاّ نادرا،يقول:{ وحين يقرأ هذه الحلقات التي تعرض هنا أو تعرض هناك، وفي طريقة عرضها كذلك ، ويجب أن نذكر دائما أنّ القرآن كتاب دعوة دينية، وأنّ التناسق بين حلقات القصة التي تعرض والسياق الذي تعرض فيه هو الغرض المقدم، وهذا يتوفر دائما، ولا يخل من السمة الفنية إطلاقا.} [36]

تجليات التكراروتوظيفاته في النسق القرآني (بين يدي سورة الرحمن):

بعيدا عن الجدلية البلاغية القاضية بأنّ التّكرار من عيوب الأسلوب إذا أمكن الاستغناء عنه، وإذا أفادبظلال جديدة فيعتبر من مظاهر الفصاحة والبلاغة[37]، ويظهر هذا الأسلوب في القرآن الكريم في سور كثيرة، وبخاصة سورة الرحمن، إذ نجد فيها تكرار الحرف والاسم والفعل،فالعبارة والآية، ولكن هذا لم يقلل من قوة البلاغة والفصاحة فيها،وقد أخطأ من أنكر كونه من أساليب الفصاحة، ظنا منه أنّه لا فائدة له، وليس كذلك بل هو من محاسن البلاغة، لاسيما إذا تعلق بعضه ببعض [38]

1)تكرار الحرف: تكرّرت في السورة الكريمة حروف العطف والجر، ولكن عند قراءة السورة لانحسّ بذلك، بل يزيد السورة روعة وتناسقا نغميا، والغرض منه الربط وزيادة اللفظ تأكيدا ودقة في أداء المعنى؛

أ)تكرار حرف العطف: قد ورد حرف"الواو" ثلاثة وثلاثين مرة، وحرف" الفاء"

احدى وثلاثين مرة، وهذا في الآية{ **فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**}.

ب)تكرار حرف الجر:وردت حروفه مختلفة في السورة الجليلة، من "باء" "في" "عن" "من""على" و"اللام"، ورد الباء ستة وثلاثين مرة في الآيات التالية: لقوله تعالى:{ **الشَّمْسُ وَالْقَمَرُبِحُسْبَانٍ**}،{. **وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ**.}،{ **يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَام**} ، {**هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ** }

وورد حرف "في"اثنتا عشر مرّة، وهذا في الآيات الآتية؛

{ **أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ**}،{**فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ** }،{**وَلَهُ الْجَوَارِالْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ** }،{**يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَفِي شَأْنٍ** }.

{**فِيهِمَا عينَان تجريَان**}،{**فِيهما من كُلّ فاكهة زوجَان**}،{**فيهنّ قَاصرات الطَرف لم يطمثهنّ إنسٌ قبلهم ولا جان**}،{**فِيهما عينَان نضَاختان**}،{**فِيهما فَاكهة ونخلٌ ورمانٌ**}،{**فيهنّ خيراتٌ حِسان**}،{**حورٌ مقصُورات في الخِيام**}.

(حرف الجر من) ورد ثمان مرات، وهذا في الآيات التالية:

{خُلق الإنسـاَن مِـن صَلْصـال كالفخَـار}،{وخَلق الجَـان مِـن مـارجٍ مـنْ نَـار}،{يَخرجُ منهُمـا اللُؤلـؤ والمُرجـان}،{إنْ اسـتطعتم أنْ تنفـذُوا مـن أقطـاَر السَـموات والأرضِ.. }،{يُرسـل عَليكما شُـواظ مِن نار}،{فِيهما من كلّ فاكهـةٍ زوجَان}،{مُتكئين على فُـرش بَطائنها مِن إستَبرقٍ}.

وورد حرف الجر"عن" مرة واحدة في الآية:**{فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان}**. وكان تكرار حرف الجرّ "على" أربع مرات، وذلك في**{كلّ من عليها فان}،{يرسل عليكما شواظ من نارونحاس فلا تنتصران}،{متكئين على فرش بطائنها من إستبرق وجنا الجنتين دان}،{متكئين على رفرف خضروعبقري حسان}**. كما تكرر حرف"الكاف" ثلاث مرات في:**{خلق الإنسان من صلصال كالفخار}،{وله المنشآت في البحر كالأعلام}،{فإذا انشقت السماء وكانت وردة كالدهان}.**

أمّا حرف "اللام" فتكرر أربع مرات في الآيات:**{والأرض وضعها للأنام}، {سنفرُغ لَكُم أيّها الثقلان}،{ولمن خاف مقام ربّه جنتان}**

تكرار الفعل:

تكرر الفعل بمختلف أوزانه وأزمانه، وورد في سورة الرحمن سبعة وستين مرة.1 منها المضارع:(تكذّبان) قد جاء بضمير المخاطبة، وتكرر إحدى وثلاثين مرة، (نفذ) تكرر ثلاثة مرات في{..أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلاّ بسلطان33}،جاء بصيغة المضارع وبصيغة الأمر،كما ورد فعل(خلق)بصيغة الماضي في قوله تعالى:**{خَلـق الإنسَـان من صَلْصـالٍ ..}،{وخلقَ الجَان من مارجٍ منْ نارٍ}** وتكرر الفعل (علّم) مرتين في قوله تعالى:**{...علّمَ القرآنَ ...علّمهُ البيانَ}** وورد بضمير الغائب المفرد..

تكرار المفردة:

تمتاز سورة الرحمن بتكرار المفردة لأنّها توضّح قوة البيان، ومنها لفظة (الميزان)ذكرت ثلاث مرات، واختلف معناها من آية لأخرى؛ ميزان الدنيا، ميزان الآخرة وميزان العقل[39]،

وذلك في الآيات التالية:**{والسماءَ رفعهَا ووضعَ الميزانَ}{ألاّ تطغَوا في الميزان} {وأقِيمُوا الوزنَ بالقسْطِ ولا تَخْسِروا الميزَان}**،

وتكررت مفردة(الأرض)ثلاث مرات أيضا في:**{والأرضَ وضعَها للأنَام}{..والأرض كلُّ يومٍ هوَ في شَأْن}{من أقطار السموات والأرض..}**

وتكررت مفردة (السماء)أربع مرات،في:**{والسمَاء رفَعها}{يَسْأله مَن فِي السَّمواتِ}{من أقطارِ السموات}{فإذَا انشَّقت السماء}**.

وتكررت لفظة(الإنسان)مرتين في:**{خلق الإنسان}{خلق الإنسان من صلصال}**، ومفردة(الجنتان)تكررت ثلاث مرات،**{ولمن خاف مقام ربّه جنتان}**،**{ومن دونهما جنتان}**،**{من إستبرق وجنا الجنتين دان}**

ولفظتا(الإنس والجن)تكررتا أربع مرات في:**{يامعشر الجن والإنس}{لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان}**. وقد تكرر لفظ الجلالة(الرب) خمسة وثلاثين مرّة في:

{ربّ المشرقين وربّ المغربين}{ويبقى وجه ربّك}{ولمن خاف مقام ربّه}

{تبارك اسم ربّك.. } وتكررت إحدى وثلاثين مرة مع تكرار الآية**{فبأيّ ءالاء ربّكما تكذبان}**

وتكررت مفردة (المرجان)مرتين في:**{يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان}**

{كأنّهنّ الياقوت والمرجان}. ولفظة(المجرمون) تكررت مرتين:**{يعرف المجرمون بسيماهم}{يكذّب بها المجرمون}**.

ووردت لفظة (الفاكهة)ثلاث مرات في:**{فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام}{فيهما من كلّ فاكهة زوجان}{فيهما فاكهة ونخل ورمان}**[40]

تكررت مفردة"عينان" مرتين في:**{فيهما عينان تجريان}{فيهما عينان نضاختان}**

وتكررت مفردتا "الجلال والإكرام" في:{تبارك الله ذو الجلال والإكرام}{ويبقى وجه ربّك ذو الجلال والإكرام} كما تكررت مفردة "حسان" مرتين في:{وعبقري حسان}{فيهنّ خيرات حسان}. بالإضافة إلى كلمة "الإحسان" تكررت مرتين في:

{هل جزاء الإحسان إلاّ الإحسان}.

تكرار الآية:

قال تعالى:**{فبأيّ ءالاء ربّكما تكذّبان}** تكررت إحدى وثلاثين مرة،بعد كلّ خصلة من النعم، وجعلها فاصلة بين كل نعمتين، للتأكيد والتذكير بالنعم، والتقرير بها،وللتنبيه على أهميتها.

تكرار اللواحق:

1)الضمائر المنفصلة:ونقصد به ضمير الغائب المنفصل"هو"الذي ورد مرة واحدة في قوله تعالى:**{كلّ يوم هو في شأنّ}.**

2)الضمائر المتصلة: الهاء ضمير متصل تكرر أربع عشر مرة، وذلك في الآيات:{فيها فاكهة... }{علّمه البيان...}{ولمن خاف مقام ربّه46}{يطوفون بينها وبين حميم آن}{يبقى وجه ربّك.. }{يكذّب بها المجرمون}{الأرض وضعها}

{بطئنها من إستبرق}{وله الجواري المنشآت في البحر كالأعلام}{كلّ من عليها فان}{يسأله من في السموات}{لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان{..أيّه الثقلان}

وتكرر الضمير المتصل"هما"سبع مرات، وذلك لقوله تعالى:**{بينهما برزخ لايبخرج منها.. }{فيهما عينان تجريان}{ ومن دونهما جنتان}{فيهما عينان نضاختان}{فيهما فاكهة.. }{فيهما من كل فاكهة زوجان}**

أيضا تكرر الضمير"هنّ"خمس مرات في:**{كأنّهنّ الياقوت والمرجان}{لم يطمثهنّ}{فيهنّ خيرات حسان}{فيهنّ قاصرات الطرف لم يطمثهنّ}.**

كما تكرر الضمير"كما"بتكرار الآية **{فبأيّ ءالاء ربّكما تكذّبان}**وتكرر احدى وثلاثين مرة حسب تكرار الآية**{يرسل عليكما شواظ}.**

تكرار الآية:

قال تعالى:**{فبأيّ ءالاء ربّكما تكذّبان}** تكررت إحدى وثلاثين مرة،بعد كلّ خصلة من النعم، وجعلها فاصلة بين كل نعمتين، للتأكيد والتذكير بالنعم، والتقرير بها،وللتنبيه على أهميتها.

تكرار اللواحق:

1)**الضمائر المنفصلة:**ونقصد به ضمير الغائب المنفصل"هو"الذي ورد مرة واحدة في قوله تعالى:**{كلّ يوم هُو في شأنّ}.**

2)**الضمائر المتصلة:** الهاء ضمير متصل تكرر أربع عشر مرة، وذلك في الآيات:**{فِيها فاكهةٌ... }{علّمهُ البيانُ...}{ولِمَن خافَ مَقام ربّه}{يطُوفون بينَها وبينَ حَميم آن}{يبقى وجهُ ربّك.. }{يكذّب بها المُجرمُون}{الأرْض وضَعها}.**

{بطائنها من إستبرق}{وله الجَواري المُنشآت فِي البَحر كالأعلام}{كُلّ مَن عَليهَا فان}{يسأله من في السموات}{لا يسْأل عنْ ذنبهِ إنسٌ ولا جَان}{..أيّهُ الثقلانِ}.

وتكرر الضمير المتصل"هما"سبع مرات، وذلك لقوله تعالى:**{بينهما برزخ لايبغيان}{يخرج منهما.. }{فيهما عينان تجريان}{ ومن دونهما جنتان}،{فيهمَا عينَان نضَاخَتان}{فِيهما فَاكهةٌ.. }{فيهما من كلِّ فاكهةٍ زوجانِ}**

أيضا تكرر الضمير"هنّ"خمس مرات في:**{كأنّهنَّ الياقوتُ والمُرجان}{لم يطمثهُنّ}{فيهنّ خيراتٍ حِسان}{فيهنَّ قَاصرَات الطرفِ لم يطمثهنّ}.**

كما تكرر الضمير"كما"بتكرار الآية **{فبأيّ ءالاء ربّكُما تكذّبان}**وتكرر احدى وثلاثين مرة حسب تكرار الآية**{يُرسل عليكما شُواظ}**

صفوة القول :

مما نخلص إليه في بحثنا الآتي :

1- القرآن هو أعلى منازل البيان وأعلى مراتبه، جمع وجوه الحسن، وأسبابه وطرقه وأبوابه من تعديل النظام وسلامته، وحسنه وبهجته، وديباجته وموقعه في السمع والنفس، وسهولته على اللسان، وتشكله على جهته ليحل محل البرهان، ويدل على قوة التأليف.

2 - كانت سورة الرحمن حلة فريدة من البيان، لما فيها من قوة إبراز نعم الله بترغيب وترهيب،وإعجازها البياني زاد في قوة بلاغتها.

تكررت آية{فبأي ءالاء ربّكما تكذّبان}واحد وثلاثون مرة في السورة، ما زادها روعة بيانية وتأكيدا لمعاني الآيات. وعليه استحقت أن تكون عروس القرآن.

3 - وجدنا أنّ الظاهرة الحقيقية التي تكمن وراء التكرار هي:التنويع في أساليب التعبير والتعدد في دلالات المعنى، وهو تكرار يتجدد دون أن يتبدد.

ويبقى الإعجاز البياني في القرآن الكريم، هو أشرف بيان وأهداه، وأكمله وأعلاه وأبلغه.

وسيبقى الإشكال المطروح؛ هل تنويع التكرار هو بنفس المقياس في الآي القرآني في المصحف الشريف؟

وما توصلنا إليه ليس بنهاية المطاف، بل يبقى مشروع القراءة مفتوحا، وتبقى النصوص كذلك في متناول الباحثين، فهي بحاجة إلى الاستنطاق والتحليل، وفق رؤى جديدة للوصول إلى آفاق لم يسطع الباحث أن يصل إليها...، وفوق كل ذي علم عليم، ونسأل الله السداد والتوفيق.

الهوام

الهوامش و الإحالات

[1] - السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر:الإتقان في علوم القرآن على هامش إعجاز القرآن للبقلاني،دار مكتبة الهلال،ج1، ص176 .

[2] - محمد السباعي:البيان في إعجاز القرآن،مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة،1960، ص31.

[3] - محمد بركات: الآية التفسيرية وموقعها من البيان القرآني والبلاغة العربية،سلسلة الأدب والبلاغة،ط3عمان، دار وائل الأردن، ص07.

[4] - المرجع السابق: ص6

[5] - ابن قتيبة:تأويل مشكل القرآن، تحقيق أحمد صقر:دار التراث ،ط2، القاهرة،ص241/232

[6] - المرجع السابق : ص 17 .

[7] - ابن منظور:لسان العرب، المطبعة الأمريكية بولاق، القاهرة، 1300مادة .

[8] - المصدر نفسه: ص135

[9] - الجرجاني القاضي: التعريفات،تح: نصر الدين تونسي، شركة القدس للتطوير،القاهرة،ط2001،7،ص13.

[10] - ابن الأثير: المثل السائر، تح: محي الدين عبد الحميد،المكتبة العصرية،دط،1999، بيروت،لبنان،ج2،ص146.

[11] - السجلماسي أبو محمد القاسم: المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ،تح: علال الغازي،مطبعة المعارف،الرباط،دط،ص

[12] - القزويني الخطيب: الإيضاح في علوم البلاغة،تح: عماد بيوني زغلول، مؤسسة الكتب الثقافية ،بيروت،لبنان،دط،ص15.

[13] - زروقي عبد القادر: أسلوب التكرار بين القدماء والمحدثين،مقال صادر عن مجلة الذاكرة، مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري،العدد 09،جوان 2017،ص82.

[14] - الجاحظ: البيان والتبيين،دار الكتب العلمية ،بيروت-لبنان، ط1998،1،ص79.

[15] - المصدر نفسه، ص90،89.

[16] - المصدر نفسه،ص74،73.

[17] - المصدر نفسه ،ص63.

[18] - المصدر نفسه،ص92.

[19] - ابن الأثير: جوهر الكنز تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة، منشاة المعارف الإسكندرية،دط،2009،ص257.

[20] - سورة الأنعام،الآية14 .

[21] - سورة الزمر،الآية 14

[22] - ابن الأثير: جوهر الكنز تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة، ص259.

[23] - سورة آل عمران ،الآية104.

[24] - سورة البقرة،الآية238.

[25] - سورة الأحزاب ،الآية 72.

[26] - ابن الأثير: جوهر الكنز تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة، ص28،27.

[27] - المرجع نفسه، ص27،25.

[28] - سورة المؤمنون،الآية35.

[29] - السجلماسي أبو محمد القاسم: المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، ص478،477.

[30] - بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج3، ص9 .

[31] - ابن منظور، لسان العرب، 1300 مادة .

[32] - د.مختار عطية: الإطناب في القرآن الكريم.، دار الجامعة الجديدة، 2008، ص192/191.

[33] - د.عبد العاطي محمد شلبي: الخطابي والإعجاز القرآني، ط1، 2006، ص171/170.

[34] - بغدادي بلقاسم: المعجزة القرآنية، ديوان المطبوعات الجامعية المركزية، بن عكنون، الجزائر، ص288

[35] - المرجع السابق: ص177/174 .

[36] - سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، دار الشروق،ط6، 1980/1400،ط7، 1982/1402، ص156/130.

6[3]- بغدادي بلقاسم:المعجزة القرآنية،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، ص 287.

37- الزركشي:البرهان في علوم القرآن، دار الفكر بيروت، ج3، ص9

38– شيخون مُحَمَّد السيد:أسرارالتكرار في لغة القرآن،دار الهداية، ص38